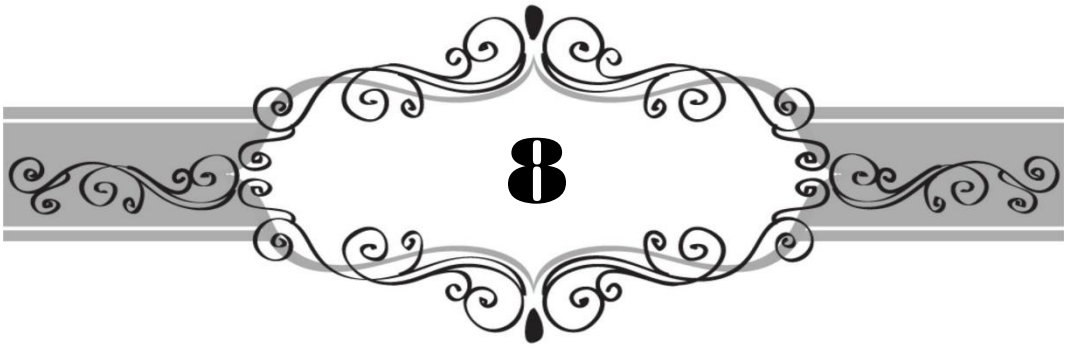

تعظيم النبي ﷺ وتوقيره في الكتاب والسنة وحياة الصحابة رضي الله عنهم.

Ali Musri Semjan Putra [1]

ملخص البحث

إن تعظيم النبي وتوقيره جزء من معنى الشهادتين لا يتم إسلام المرء إلا به، كما أنه جزء لا يتجزأ من ركن الإيمان الرابع وهو الإيمان بالرسل. وقد جاءت الأدلة الكثيرة في بيان أهمية هذا الموضوع سواء كانت من الآيات القرآنية أو الأحديث النبوية ولكن واقع المسلمين كثير منهم لا يعرفها إلا نفر قليل ويعرفونها إلا شيئاً يسيراً.

[1] Prodi Ilmu Hadits STDI Imam Syafi'i Jember. alimusri@yahoo.com

ومن هنا لابد من دراسة هذا الموضوع وبيانه للأمة بياناً شافياً بأدلته المستمدة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة مع ذكر نماذج من حياة الصحابة رضي الله عنهم في تحقيق هذا الأمر، وكيف كانوا يعظمون النبي ﷺ ويوقرونه في حياتهم اليومية. والهدف من ذلك هو معرفة حقوق النبي ﷺ على الأمة والقيام بها بلا إفراط فيه ولا تفريط، وبلا غلو ولا جفاء. وسلك الباحث في هذا البحث المنهج الكمي الاستقرائي الاستنتاجي الوصفي المكتبي.

وخلاصة نتيجة هذا البحث معرفة علو مكانة النبي ﷺ عند الله ووجوب توقيره وتعظيمه ومحبته ﷺ حيًّا وميّتًا، وعلى كل مسلم أن يتعلم كيفية صحيحة في تعظيم النبي ﷺ، وأن من لوازم تعظيم النبي ﷺ طاعته واتباعه و محبة آل بيته وأصحابه رضي الله عنهم ظاهراً وباطناً.

مفاتيح الكلمات (keywords): التعظيم، النبي ﷺ، التوقير.

أ. المقدمة

١. خلفية البحث

وقد أبان الله في كتابه عن وجوه الأدب مع النبي ﷺ وتعظيمه، وما ينبغي على المسلم أن يتأدب به مع رسول الله ﷺ وذلك في آيات شتى وبأساليب متنوعة. وقد اشتملت سورة الحجرات في صدرها على مجموعة من التوجيهات التربوية للمسلمين في كيفية تعاملهم مع رسول الله ﷺ والتأدب معه. وحال الأمة بين الأمرين إما الإفراط

أو التفريط، وبعضهم يزعمون أنهم يعظمون الرسول ﷺ ويوقرونه بالمدح الزائد والغلو فيه فيتجوزون الحق فوقعوا في أنواع من البدع والضلالات. والبعض الآخر لا يبالون بإطلاق ألفاظ سخرية ويستهزئون به ويطعنون فيه ويزعمون أنهم من أتباعه المحررين حرية تامة.

والتعظيم أعلى منزلة من المحبة، لأن المحبوب لا يلزم أن يكون معظماً، كالولد يحبه والده محبة تدعوه إلى تكريمه دون تعظيمه، بخلاف محبة الولد لأبيه، فإنها تدعوه إلى تعظيمه. والرجل يعظم لما يتمتع به من الصفات العلية، ولما يحصل من الخير بسببه، أما المحبة فلا تحصل إلا بوصول خير من المحبوب إلى من يحبه.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أعلم الناس بحقوق النبي ﷺ وأفضل من حقق التعظيم والتوقير له ﷺ على الوجه الصحيح فلذلك لابد أن نعرف بعض صور من حياتهم رضي الله عنهم في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره حتى نقتدي بهم ونجعلهم أسوتنا في ذلك.

ولكن قد كثر الجفاء في زماننا هذا بكثرة المارقين والمنهزمين من الكتاب والأدباء الذين سودوا الصحائف بالاستهزاء بتعاليم الإسلام وقيمه وربما بالتطاول على مقام النبوة. كما عزف كثير من المسلمين عن مطالعة سيرة النبي ﷺ ومذاكرة

سنته وكثرة الصلاة والسلام عليه. مما أدى إلى الجفاء للنبي ﷺ وعدم توقيره.

ومن هنا لابد أن يقوم بعض الباحثين في دراسة هذا الموضوع والكتابة فيه حتى يستفيد القراء من خلاله معرفة ما يجب عليهم من الحقوق نحوى رسولهم محمد ﷺ.

٢. تحديد المسألة

ولأهمية هذا الموضوع لا بد أن نعرف:

أ) ما هي الأدلة التي تدلى على وجوب تعظيم وتوقير الرسول ﷺ؟

ب) كيف كان الصحابة رضي الله عنهم يعظمون الرسول ﷺ في حياتم اليومية؟

إذا عرف المسلم الأدلة على أهمية تعظيم الرسول ﷺ وتوقيره أثمر في نفسه تعظيمه وتوقيره ﷺ بطاعة أمره وتصديق خبره واجتناب نهيه وزجره وألا يعبد الله إلا بما شرع، والإقتداء بصحابته الكرام في ذلك كله.

٣. منهج البحث

سلك الباحث في إعداد هذا البحث منهج الوصف والاستقراء والاستنتاج للنصوص الشرعية ومطالعة أوال العلماء في بين معانيها من خلال المصادر والمراجع المتوفرة لدى الباحث سواء كان في مكتبته الشخصية أو مكتبة الكلية أو المكتبة

الحاسوبية أو الشبكة العنكبوتية.

ب.موضوع البحث

١. الأدلة من الكتاب على وجوب توقير النبي ﷺ.

إن تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وإجلاله شعبة عظيمة من شعب الإيمان وهذه الشعبة غير شعبة المحبة بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة ذلك لأنه ليس كل محب معظمًا، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة.

قال الإمام البيهقي:

"تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره ﷺ وهذه منزلة فوق المحبة لأنه ليس كل محب معظما إلا أن الوالد يجب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمة والولد محب والده أجمع له بين التكريم والتعظيم والسيد قد يحب ممالكيه ولكن لا يعظمهم والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبة فوق المحبة والداعي إلى المحبة ما يفيض عن المحب على المحب من الخيرات والداعي إلى التعظيم ما يحب المعظم في نفسه من الصفات العلية ويتعلق به من حاجات المعظم التي لا

قضاء لها إلا عنده ويلزمه من سنته التي لا قوام له بشذّها وإن جدد واجتهد."[١].

وفي تعظيمه ﷺ يقول سبحانه: {لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ}[٢] أي تعظموه وتفخموه، وقال قتادة: تنصروه وتمنعوا منه[٣]، فأوجب سبحانه تعزيره وتوقيره وإلزام إكرامه وتعظيمه[٤].
قال ابن جرير في تفسير الآية:

"معنى التعزير في هذا الموضع: التقوية والنصرة والمعونة ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال"[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والتعزير:

"اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار"[٦].

---

١ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (٤٥٨هـ)، "الجامع لشعب الإيمان"، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط/ الأولى، ١٤١٠هـ): ١٩٣/٢.

٢ سورة الفتح، أية: ٩.

٣ البيهقي، الجامع لشعب الإيمان: ١٩٣/٢.

٤ المصدر السابق: ١٩٣/٢.

٥ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (٣١٠هـ)، "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، (---: مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى ١٤٢٠هـ): ٧٥/٢٦.

٦ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (٧٢٨هـ)، "الصارم المسلول على شاتم الرسول"، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار ابن حزم، ط/ الأولى، ١٤١٧هـ) ص: ٤٢٢.

قال السعدي رحمه الله:

"{وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} أي: تعزروا الرسول ﷺ. {وَتُوَقِّرُوهُ} أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم"[١].

وحاصل ما قيل في معناهما أن: التعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه. والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار.

وهذه المعاني هي المرادة بلفظ التعظيم عند إطلاقه، فإن معناه في اللغة: التبجيل، يقال: لفلان عظمة عند الناس: أي حرمة يعظم لها، ولفظ التعظيم وإن لم يرد في النصوص الشرعية، إلا أنه استعمل لتقريب المعنى إلى ذهن السامع بلفظ يؤدي المعنى المراد من التعزير والتوقير.

وقال الله عز وجل:

{فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون}

١ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (١٣٧٦هـ)، "تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان"، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (---: مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى، ١٤٢٠هـ): ٩٣٤.

فأخبر أن الفلاح إنما يكون جمع إلى الإيمان به تعزيره ولا خلاف في أن التعزير ههنا التعظيم وقال: {إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه}

فأبان أن حق رسول الله ﷺ في أمته أن يكون معززا موقرا مهيبا ولا يعامل بالاسترسال والمباسطة كما يعامل الأكفاء بعضهم بعضا قال الله عز وجل:

{لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا}

فقيل في معناه لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء بعضكم بعضا فتؤخروا إجابته بالأعذار والعلل التي يؤخر بها بعضكم إجابة بعض ولكن عظموه بسرعة الإجابة ومعاجلة الطاعة ولم يجعل الصلاة لهم عذرا في التخلف عن الإجابة إذا دعا أحدهم وهو يصلي إعلاما لهم بأن الصلاة إذا لم تكن عذرا يستباح به تأخير الإجابة فما دونها من معاني أعذارا بعد ذلك"[١].

قال الحليمي[٢]:

"فمعلوم أن حقوق رسول الله ﷺ أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا

١ البيهقي "الجامع لشعب الإيمان": ١٩٣/٢.

٢ هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجانى، فقيه شافعي، قاضي، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر، وله كتاب المنهاج في شعب الإيمان، توفي في بخارى سنة ٤٠٣هـ (انظر "الأعلام" للزركلي: ٢/ ٢٣٥).

من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، فهدانا به لما إذا أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم. فأية نعمة توازي هذه النعم وأية منة تداني هذه المنن. ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته، وتوعدنا على معصيته بالنار. ووعدنا باتباعه الجنة. فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة. فحق علينا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه أكثر من إجلال كل عبد سيده وكل ولد والده. وبمثل هذا نطق القرآن ووردت أوامر الله جل ثناؤه"[١].

وتعظيم النبي ﷺ يكون بالقلب، واللسان والجوارح، فالتعظيم بالقلب هو ما يستلزم اعتقاد كونه رسولا اصطفاه الله برسالته، وخصه بنبوته، وأعلى قدره، ورفع ذكره، وفضله على سائر الخلق أجمعين، كما يستلزم تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين.

أما التعظيم باللسان فيكون بالثناء عليه بما هو أهله، مما أثنى به على نفسه، أو أثنى به عليه ربه من غير غلو ولا تقصير، ويدخل في ذلك الصلاة والسلام عليه، كما يشمل الأدب في الخطاب معه والحديث عنه ﷺ. وأما التعظيم بالجوارح

١ الحليمي، الحسين بن الحسن الجرجاني، (٤٠٣هـ)، "المنهاج في شعب الإيمان"، تحقيق حلمي محمد فودة، (---: دار الفكر، ط/ الأولى، ١٣٩٩هـ): ١٢٤- ١٢٥، والبيهقي "الجامع لشعب الإيمان" : ١٩٣/٢.

فيشمل العمل بطاعته، وتجديد متابعته، وموافقته في حب ما يحبه، وبغض ما يبغضه والسعي في إظهار دينه، ونصرة شريعته، والذب عنه وصون حرمته[١].

٢. الأدلة من السنة على وجوب توقير النبي ﷺ.

وأما الأحاديث التي تدلّ على وجوب توقير النبي ﷺ وتعظيمه ومحبته كثيرة جداً لا يمكن حصرها، ومنها:

١) ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[٢].

٢) ما روي عن عبدالله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر ابن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي ﷺ: "لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك". فقال له

---

١ انظر: ابن عبد الهادي، شمس الدين محمد بن أحمد (٧٤٤هـ)،"الصارم المنكي في الرد على السبكي"، تحقيق عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، (بيروت: مؤسسة الريان، ط/ الأولى، ١٤٢٤هـ): ٣٤١-٣٤٢.

٢ البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت٢٥٦هـ)، "الجامع الصحيح المسند من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: المطبعة السلفية، ط/ الأولى ١٤٠٠هـ): ح (١٤، ١٥) ومسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (261هـ)، "الجامع الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط/ ---، ---): ح (١٧٧، ١٧٨).

عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفس. فقال له النبي ﷺ: "الآن يا عمر"[١].

وفي هذين الحديثين بيان نوعٍ من أنواع التوقير والتعظيم للنبي ﷺ بالقلب وهو تقديم محبته ﷺ على كلّ أحد حتى من النفس.

٣) وقد شدد الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ النكير على رجلين رفعا أصواتهما في المسجد النبوي كما رواه البخاري بسنده عن السائب بن يزيد قال: "كنت قائما في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فاتني بهذين، فجئته بهما. قال: من أنتما- أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف. قال: لوكنتما من أهل البلد لأوجعتكما. ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ!"[٢].

فإذا تقرر هذا علمنا أن ما يحدث من كثير من الناس عند قبره ﷺ من رفع الأصوات واختلاطها، وصنيع من يسمون "بالمزورين" من رفع الأصوات عند القبر والتشويش في المسجد النبوي، كل هذا من الأمور المحرمة لما فيها من إيذاء النبي ﷺ، وانتهاك حرمة المسجد.

ومن مخالفة الأدب في هذا الباب رفع آراء بعض البشر وأقوالهم ومذاهبهم

١ البخاري، المصدر السابق: ح (٦٢٥٧).

٢ المصدر نفسه: ح (٤٥٧).

على سنة النبي ﷺ، ومحاولة إسكات صوت السنة والداعين إليها وفي هذا من الإيذاء والجفاء ما هو أكبر بكثير من مجرد رفع الصوت عند النبي ﷺ [١].

قال أبوبكر بن العربي المالكي:

"حرمة النبي ﷺ ميتا كحرمته حيا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر أن لا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به"[٢].

٤) ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ"[٣].

٥) ما روي عن حسين بن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: "البخيل من

١ ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية، (٧٥١هـ)، "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت: دار الكتب العربي، ط/ الثالثة، ١٤١٦هـ): ٢ / ٣٨٩.

٢ الغرناطي، محمد بن يوسف بن ابي القاسم، (٨٩٧هـ)، "التاج والإكليل لمختصر خليل" (---: دار الكتب العلمية، ط/ الأولى، ١٤١٦هـ): ٣/ ٤٠٠.

٣ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (٢٧٩ هـ)، "سنن الترمذي"، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط/ الثانية، ١٣٩٥هـ): ح (٣٥٤٥) وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن الترمذي: ٤٥٧/٣).

ذكرت عنده فلم يصل عليّ"[١].

وهذان الحديثان يدلان على نوع من أنواع التوقير والتعظيم باللسان وهو الصلاة والسلام عند ذكر أو سماع اسمه ﷺ.

٦) ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" قيل: ومن أبى؟ قال: "من أعطاني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى"[٢].

٧) ما روي عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: "أمتهوّكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولوكان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي"[٣].

وفي هذين الحديثين بيان نوعٍ من أنواع التوقير والتعظيم للنبي ﷺ بالجوارح وهو طاعته فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

٨) عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ. قال "ما

---

١ الترمذي، المصدر السابق: ح (٣٥٤٦) وقال الشيخ الألباني: صحيح. (صحيح سنن الترمذي: ٤٥٨/٣).

٢ البخاري، الجامع الصحيح: ح (٦٨٥١).

٣ الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، (٢٤١هـ)، "المسند" تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، (---: مؤسسة الرسالة، ط/الأولى، ١٤٢١هـ): ٣٨٧/٣، وقال الشيخ الألباني: حسن. (الإرواء: ٣٤/٦).

هذا يا معاذ ؟" قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك. فقال النبي ﷺ: "فلا تفعلوا فإني لو كنت آمرا أحد أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"[١].

٩) ما روي عن قيس بن سعد ﷺ قال: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فقلت: لرسولُ الله ﷺ أحق أن يسجد له. فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت أحق بأن يسجد لك، فقال لي: "لومررت بقبري أكنت تسجد له؟ فقلت: لا. فقال: "ولا تفعلوا لوكنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن، لما جعل الله عليهن من حق"[٢].

١٠) ما روي عن عبد الرحمن بن أبي قراد ﷺ أن النبي ﷺ توضأ يوماً، فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه، فقال لهم النبي ﷺ: "ما يحملكم على هذا ". قالوا: حب الله ورسوله. فقال النبي ﷺ: "من سره أن يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله،

---

١ القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه، (٢٧٣هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، (---: دار الرسالة العالمية، ط/ الأولى، ١٤٣٠ هـ): ح (١٨٨٠) وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن ابن ماجه: ١٢١/٢).

٢ السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود (٢٧٥ هـ)، تحقيق محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، ط/ ---): ح (٢١٤٢) وقال الشيخ الألباني: صحيح. (صحيح سنن أبي داود: ٥٩٥/١)

فليصدق حديثه إذا حدث، وليؤد أمانته إذا أتمن، وليحسن جوار من جاوره"[١].

١١) ما روي عن أنس ﷺ قال: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ،وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك[٢].

وفي هذه الأحاديث الستة من (٨) إلى (١١) بيان لأساس التعظيم وقاعدته التي ينبني عليها هو الاتباع بلا الابتداع ولا الغلو فيه. فمن فقد هذا الأساس أو أخل به فقد أخل بتعظيمه وتوقيره ﷺ.

٣. صور من حياة الصحابة ﷺ في توقير النبي ﷺ.

وقد قام الصحابة حق القيام في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره في حياته ﷺ ونالوا شرف لقاء النبي ﷺ، فكان لهم النصيب الأوفى من توقيره وتعظيمه مما سبقوا به غيرهم، ولم، ولن يدركهم من بعدهم، ثم شاركوا الأمة في تعظيمه بعد موته ﷺ. كان شأنهم في توقيره أوضح وأظهر من أن يستدل عليه.

ونذكر هنا بعض نماذج رائعة ومواقف جميلة للصحابة في تعظيم النبي ﷺ:

١) وأجمل من وصف شأنهم في ذلك عروة بن مسعود الثقفي ﷺ حين فاوض النبي

١ البيهقي، الجامع لشعب الإيمان: ح (١٥٣٣) وحسّنه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح: ١٣٩١/٣.

٢ الترمذي، سنن الترمذي": ح (٢٧٥٤) وقال الشيخ الألباني: صحيح. (صحيح الترمذي: ١٠٠/٣).

ﷺ في صلح الحديبية، فلما رجع إلى قريش قال: (أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخمَّ نخامةً إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيمًا له)[١].!

٢) وقال عمروبن العاص رضي الله عنه: (وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولوسئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه)[٢].

٣) ومن شدة حرص الصحابة على إكرامه وتجنب إيذائه قال أنس بن مالك: (إن أبواب النبي ﷺ كانت تقرع بالأظافير)[٣].

٤) ولما نزل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ}،

---

١ البخاري، الجامع الصحيح: ح (٢٥٨١).

٢ مسلم، الجامع الصحيح: ح (٣٣٦).

٣ البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦ ه)، "الأدب المفرد"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط/ الثالثة، ١٤٠٩ ه) :ح (١٠٨٠)، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الأدب المفرد: ٤٢٩/١.

قال ابن الزبير: "فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه"[١].

٥) وقال البيهقي[٢]:

إن هذه الآية "نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ﷺ كان إذا جالس النبي ﷺ يرفع صوته إذا تكلم، فلما نزلت هذه الآية انطلق مهموماً حزينا فمكث في بيته أياماً مخافة أن يكون قد حبط عمله. وكان سعد بن عبادة جاره، فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فأخبره بذلك فقال له النبي ﷺ "اذهب فأخبر ثابت بن قيس أنك لم تُعْنَ بهذه الآية ولست من أهل النار بل أنت من أهل الجنة فاخرج إلينا فتعاهدنا " ففرح ثابت بذلك ثم أتى النبي ﷺ فلما أبصره النبي ﷺ قال: "مرحبا برجل يزعم أنه من أهل النار بل غيرك من أهل النار وأنت من أهل الجنة". فكان بعد ذلك إذا جلس إلى النبي ﷺ يخفض صوته حتى ما يكاد أن يسمع الذي يليه فنزلت: {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}".

٦) وجاء عن أسامة بن شريك[٣] والبراء بن عازب[٤] و أبي سعيد الخدري[٥] ﷺ في

---

١ البخاري، الجامع الصحيح: ح (٤٥٦٤).

٢ البيهقي، شعب الإيمان: ح (١٥١٧) وبنحوه عند البخاري: ح (٤٥٦٥) ومسلم: ح (٣٢٩).

٣ أبو داود، السنن: ح (٣٨٥٧) وقال الشيخ الألباني: صحيح (صحيح سنن أبي داود: ٤٦١/٢.

٤ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (٣٠٣ هـ)، "المجتبى من السنن"، (حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط/ الثانية، ١٤٠٦هـ) : ح (٢٠٠١) وقال الشيخ الألباني: صحيح (صحيح سنن النسائي: ٥٨/٢.

٥ رواه البخاري، الجامع الصحيح: ح (٢٦٨٧).

وصف الصحابة عند النبي ﷺ قالوا: : "كأن على رؤوسهم الطير... ".

قوله "كأن على رؤوسهم الطير" فهذه العبارة هي كناية عن التعظيم الذي كانوا يظهرونه في مجلس الرسول ﷺ توقيراً وإجلالاً له صلوات الله وسلامه عليه، فلم يكن من عادة الصحابة رضوان الله عليهم أن يتجادلوا في مجلس النبي ﷺ أو يعلوا أصواتهم بنقاش أو حوار بل يعطون لهذا المجلس حقه من التشريف والاحترام.

إن أصحاب محمد ﷺ وﷺ لم يكونوا يغضبون ذلك الغضب الشديد إلا عندما تُعارَض السنة بأقوال الرجال أو بالآراء، وإن كانت تلك الأقوال من أقوال كبار الصحابة ﷺ، فإنهم ﷺ لا يرضون بمعارضة قول سيّدهم وقدوتهم، بل ويشتدّون على المخالِف، وما ذلك إلا لتعظيمهم لأقوال النبي ﷺ ولسنّته عليه الصلاة والسلام.

٧) فقد رأى عبد الله بن المغفل رجلاً من أصحابه يخذف، فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله ﷺ كان يكره أو قال: ينهى عن الخذف، فإنه لا يُصطاد به الصيد، ولا يُنكأ به العدو، ولكنه يكسر السن، ويفقأ العين، ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: أخبرك أن رسول الله ﷺ كان يكره أو ينهى عن الخذف، ثم أراك تخذف، "لا

أكلمك كذا وكذا"[١].

وفي رواية لمسلم: " لا أكلمك أبدًا[٢].

٨) فهذا عمران بن حصين كان في رهط وفيهم بشير بن كعب فحدّث عمران يومئذ فقال: قال رسول الله ﷺ: "الحياء خير كله". قال: أو قال: الحياء كله خير، فقال بشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة أن منه سكينة ووقارًا لله، ومنه ضعف! فغضب عمران حتى احمرّتا عيناه، وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتُعارض فيه. فأعاد عمران الحديث، فأعاد بشير، فغضب عمران قال أبوالسوار العدوي: فما زلنا نقول فيه: إنه منا يا أبا نجيد، إنه لا بأس به[٣].

٩) ولما قال عبد الله بن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها. قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن. قال الراوي: فأقبل عليه عبد الله فسبّه سبّاً سيئاً ما سمعته سبه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن[٤].

---

١ البخاري، الجامع الصحيح: ح (٥١٦٢) ومسلم، الجامع الصحيح: ح (٥١٦٢).

٢ ومسلم، الجامع الصحيح: ح (٥١٦٥).

٣ المصدر نفسه: ح (١٦٦).

٤ المصدر نفسه: ح (١٠١٧).

وفي رواية[1]: فضرب في صدره، وقال: أحدِّثك عن رسول الله ﷺ، وتقول: لا!

فهذا غيض من فيض مما ورد في تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم للنبي ﷺ في حياته، وفي الحقيقة فإن كل مواقفهم تشهد لهم بتعظيمه واحترامه وتوقيره. وكان ﷺ عندهم معززا موقرا مهابا ولم يكونوا يعاملونه بالاسترسال والمباسطة كما يعامل الأكفاء بعضهم بعضا. وكانوا يخفضون أصواتهم عنده ﷺ حتى ما يكاد أحدهم يسمع الذي يليه.

وإذا جلسوا بين يديه ﷺ أعطوا هذا المجلس الشريف حقه من التعظيم والإجلال والتكريم حتى لكأنما على رؤوسهم الطير وذلك لما هم عليه من السكينة والأدب الشرعي الذي أدبهم الله به ورسوله صلوات الله وسلامه عليه. وكانوا لا يحدون إليه النظر تعظيما ومهابة له ﷺ وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره فلا يقول شيئا إلا صدروا عنه وأطاعوه فيه وبادروا إلى امتثاله وتنفيذه والعمل به.

ولقد كانت منزلة النبي ﷺ في قلوب أصحابه أغلى وأعز عليهم من كل شيء حتى من نفوسهم وأهليهم وما سوى ذلك، فقد كانوا يفتدونه بأرواحهم ويبذلون في سبيل نصرته كل ما يملكون من غالي ورخيص. كما أنهم يعادون من يحارب الله

١ المصدر السابق: ح (١٠٢٢).

ورسوله مهما كانت صلتهم وثيقة به حتى وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم، ومواقفهم في ذلك كثيرة ومشتهرة.

ومن المعلوم المتقرر أن الصحابة رضوان الله عليهم هم أعرف الأمة بالنبي ﷺ ولذلك فقد كانوا بقدره ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم، فقد كان تعظيمهم وتوقيرهم للنبي ﷺ أشد وأكبر من غيرهم.

٣. الخاتمة

الحمد لله بنعته تتم الصالحات لقد تم هذا البحث المتواضع بعون الله تعالى وتوفيقه، مع أنّي أعترف أنّه لا يخلو من التقصير الذي هو سمة البشر لأنّ الكمال لله وحده وأنّ العصمة لمن عصمه الله من نبي من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام. وفي ختام هذا البحث أسجل خلاصة أهمّ النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال دراسته للموضوع والكتابة فيه:

١. إنّ مكانة النبي ﷺ عظيمة عند الله ويجب على المسلمين توقيره وتعظيمه ومحبته ﷺ حيًّا وميّتًا.
٢. إن من لوازم تعظيم النبي ﷺ طاعته واتباعه ظاهراً وباطناً.
٣. إن المسلم لابد أن يتعلم كيفية صحيحة في تعظيم النبي ﷺ.

٤. إن من لوازم تعظيم النبي ﷺ محبة آل بيته وأصحابه رضي الله عنهم.

٥. إن من أهم الأسباب في توقير النبي ﷺ معرفة سيرة النبي ﷺ وأصحابه.

٦. أهمية تربية النشء وجيل المستقبل على محبة الرسول ﷺ وتوقيره وتعظيمه، وتعليمهم سيرته العطرة عبر شتى الوسائل التعليمية والدعوية.

٧. أهمية تربية النشء وجيل المستقبل على تعريفهم بسيرة الصحابة ومحبتهم والاقتداء بهم عبر شتى الوسائل التعليمية والدعوية.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادروالمراجع

القرآن الكريم

ابن أحمد, محمد, *الصارم المنكي في الرد على السبكي*, مصر: طباعة الإمام, بدون سنة.

ابن القيم, *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية, بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م

ابن تيمية, *مجموع فتاوى شيخ الإسلام*، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، المدينة المنورة: طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م

_____, *الصارم المسلول على شاتم الرسول* ﷺ، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون سنة.

ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*، المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم, ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

أبو داود, سليمان بن الأشعث السجستاني, *سنن أبي داود*، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، بيروت: نشر دار ابن حزم، ودار المغني بالرياض, بدون سنة.

الألباني, محمد ناصر الدين, *سلسلة الأحاديث الصحيحة*، الرياض: مكتبة المعارف, بدون سنة.

_____, *سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة*، الطبعة الأولى, الرياض: نشر مكتبة دار المعارف، ١٤١٣هـ

_____, *صحيح الأدب المفرد*، الطبعة الرابعة، مكتبة الدليل، الجبيل الصناعية، السعودية, ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

_____, *صحيح سنن أبي داود*، ط/ الثانية، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

_____, *صحيح سنن ابن ماجه*، ط/ الأولى، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

_____, *صحيح سنن الترمذي*، ط/ الأولى، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

_____, *صحيح سنن النسائي*، ط/ الأولى، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

البخاري, محمد بن إسماعيل الجعفي, *صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ)، المطبعة السلفية بالقاهرة. والطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية, ١٤١٢هـ/١٩٩٢م

_____, *الأدب المفرد*، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط/ الثالثة, بيروت : دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

البيهقي, أحمد بن الحسين, *شعب الإيمان*، ط/ الأولى, بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٠هـ

الترمذي, محمد بن عيسى, *سنن الترمذي (الجامع الصحيح)*، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، بيروت: دار إحياء التراث العربي, بدون سنة.

الحليمي, الحسين بن الحسن, *المنهاج في شعب الإيمان*, تحقيق حلمي محمد فوده. بدون مدينة: دار الفكر, بدون سنة.

الزركلي , *الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)*، الطبعة الخامسة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م

السعدي, عبد الرحمن بن ناصر, *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*, بدون مدينة: ط مؤسسة مكة للطباعة والإعلام, بدون سنة.

الشيباني, أحمد بن حنبل, *مسند الإمام*، المحقق: الشيخ شعيب الأرنؤو، الطبعة الأولى, بيروت: مؤسسة الرسالة،١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

الطبري, محمد بن جرير بن يزيد بن خالد, *جامع البيان عن تأويل آيات القرآن*، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ

العبدري, أبو عبد الله محمد بن يوسف, *التاج والإكليل لمختصر الشيخ خليل*, بيروت: الناشر دار الفكر،١٣٩٧هـ

النسائي, أحمد بن شعيب, *سنن النسائي (المجتبى من السنن)*، تحقيق: مكتب التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت: دار المعرفة، بدون سنة.

النيسابوري, مسلم بن الحجاج القشيري, *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون سنة